

## العلاقة بين مقاومة شخصية "أبو عبد" في قصة "القميص المسروق" لغسان كنفاني ومحاور نظرية تدرج الحاجات لإبراهام ماسلو

على أكبر نورسيده (الكاتب المسؤول)\*

مديحة كريمي\*\*

### الملخص

يصور أدب المقاومة معاناة الإنسان في مواجهة الظروف القاسية المفروضة، وذلك عبر الكشف عن الضغوط الاجتماعية والسياسية. وقد أفضى هذا التوجه إلى تسليط الضوء على الروابط بين الأدب وعلم الاجتماع وعلم النفس، وإلى نشأة النقد السيكلوجي. في هذا السياق، قدّم أبراهام ماسلو نظريته المعروفة بتدرج الحاجات، التي تُبين كيفية تأثير الحاجات الإنسانية على أفعال الفرد وعلاقاته. تهدف هذه الدراسة، المعتمدة على المنهج الوصفي التحليلي، إلى بحث ثبات أو تغير النمط المقاوم لشخصية أبي عبد في قصة "القميص المسروق" للكاتب الفلسطيني غسان كنفاني، وتحديد الكيفية التي أثّرت بها مقاومة أبي عبد، في ضوء تدرج ماسلو للحاجات، على سلوكياته وعلاقاته وقراراته. خلصت نتائج البحث إلى أن مقاومة أبي عبد كانت في البداية سلبية وداخلية، لكن تفجّر رغبته في تحقيق العدالة حولها إلى مقاومة عدوانية. علاوة على ذلك، أدت مقاومته في مواجهة إحباط حاجاته الأساسية إلى تفعيل آليات دفاعية لديه مثل التجنب والكبت والإزاحة. ومع ذلك، فإن هاجس المعيشة منعه من مقاومة برود علاقاته، لكن على مستوى اتخاذ القرارات، فإن مقاومته قد حالت دون انصياعه لإغراءات الذات وقيامه بالسرقة.

الكلمات الدلالية: أدب المقاومة، غسان كنفاني، القميص المسروق، أبراهام ماسلو، نظرية تدرج الحاجات.

\*. أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة سمنان، سمنان، إيران

noresideh@semnan.ac.ir

\*\* طالبة الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة سمنان، سمنان، إيران

تاريخ القبول: ١٤٤٧/٠٤/١٩ ق

تاريخ الاستلام: ١٤٤٧/٠١/٢٥ ق

## المقدمة

يحرص الأدباء، لا سيما في مجال أدب المقاومة<sup>١</sup>، على تجسيد القضايا الإنسانية ضمن إطار جماليات الأدب في صلب أعمالهم، بهدف التعبير عن القيود المكبلة والحيرة الناجمة عن الأوضاع السياسية والاجتماعية الصعبة والكشف عنها. فالهدف من هذا النوع الأدبي هو تصوير آلام وصراعات البشر الذين وقعوا فريسة لظروف سياسية قاهرة. (الجويس، ١٩٩٧م: ٩٦) يسهم هذا النطاق، من خلال تمثيلاته العميقة للأزمات الروحية، في إثراء النص الأدبي وتعميقه، ويمهد الطريق للكشف عن العلاقة الجوهرية بين علم النفس وعلم الاجتماع والأدب. وبهذه الوسيلة، وبفضل جهود منظرى القرن العشرين، أمثال سيغموند فرويد<sup>٢</sup>، ظهر منهج "النقد النفسى". كان فرويد أول منظر طبق مفاهيم ونظريات التحليل النفسى على تحليل النصوص الأدبية، وفتح آفاقاً جديدة للقراءات الأدبية من خلال تحليل الأطر السردية.

إلا أنه إلى جانب المناهج النفسية التى ركزت بشكل أساسى على دراسة التحديات النفسية وعلم الأمراض الشخصية، تيار آخر، ركز اهتمامه على أسباب نجاح الأفراد. ومن أبرز ممثلى هذا التيار، يذكر عالم النفس الإنسانى الأمريكى أبراهام هارولد ماسلو<sup>٣</sup>. اشتهر ماسلو عالمياً بنظريته المعروفة بـ "هرم ماسلو للحاجات الإنسانية". فى الواقع، عارض ماسلو السلوكية والتحليل النفسى الفرويدى، إذ اعتقد أن «حصر علم النفس فى البحث فى الأمراض العصابية والذهنية سيؤدى إلى إعاقة علم النفس ودفعه نحو الهاوية». (شولتز، ١٩٩٠م ب: ٣٤٢) يكشف هذا المنهج، ولاسيما فى سياق أدب المقاومة، كيف تؤثر المستويات المختلفة للحاجات الإنسانية والضغوط الاجتماعية والاقتصادية الناجمة عنها على أفعال الفرد وعلاقاته، وتؤدى إلى انهيار الشخصيات فى حال الحرمان. لذا، يسهم تحليل الأعمال الأدبية فى ضوء هذه النظريات فى تسهيل فهم نسيج الشخصيات ودوافعها الكامنة من خلال كشف جوانبها الذهنية والنفسية،

1. Resistance literature
2. Sigmund Freud
3. Abraham Harold Maslow
4. Hierarshy of Human Needs

وبالتالى تحقيق فهم عميق للأفراد فى هذا العالم المتغير.

بناءً عليه، تسعى الدراسة الحالية إلى تطبيق هذه النظرية على عمل أدبى فى مجال أدب المقاومة. ونظراً للطابع العالمى للقضية الفلسطينية كرمز للمقاومة ضد الظلم والاستكبار، تم اختيار قصة "القميص المسروق" - وهى أولى قصص المجموعة القصصية "القميص المسروق" - للكاتب والصحفى الفلسطينى غسان كنفانى، الذى ترعرع منذ البداية فى مدرسة المقاومة، لتكون محور هذا البحث. ركز كنفانى فى كتاباته على فلسطين والمشكلات الناجمة عن الحرب واحتلال هذا البلد. ويعد فى الأدب الفلسطينى المعاصر «أول كاتب استخدم مصطلح المقاومة فى الأدب لأول مرة، وأطلق اسم "أدب المقاومة الفلسطينى" على مجموعة من قصائد وقصص شعراء وكتاب فلسطينيين». (ترابى، ٢٠١١م: ١٥٠) لذا، فإن دراسة مثل هذه الأعمال، التى نشأ كاتبها فى بيئة مليئة بالتحديات والمشكلات الناجمة عن الأجواء المتوترة فى فلسطين، وربما يكون قد ذاق مرارة إخفاق حاجات كل مستوى من مستويات هرم ماسلو، يمكن أن تقدم صورة أوضح للمقاومة فى مواجهة الحاجات الإنسانية غير الملباة والحالات النفسية والصراعات الفردية والاجتماعية الناجمة عنها. وفى هذا السياق، تظهر قصة "القميص المسروق" توافقاً أكبر مع نظرية أبراهام ماسلو مقارنة بأعماله الأخرى، وذلك بسبب انعكاس حاجات الهرم المذكور فيها، مما أدى إلى اختيار هذه القصة.

## أسئلة البحث

تسعى الدراسة الحالية للإجابة عن الأسئلة الآتية:

١. كيف يقيم ثبات أو تغير نمط المقاومة لدى شخصية "أبو عبد" فى قصة "القميص

المسروق"؟

٢. كيف أثرت مقاومة شخصية "أبو عبد"، فى ضوء هرم ماسلو للحاجات، على

سلوكه وعلاقاته وقراراته؟

فى هذا الصدد، تسعى الدراسة الراهنة، باستخدام المنهج الوصفى التحليلى، وبالاعتماد على مراجعة الكتب والبحوث المتعددة التى أجريت حتى الآن فى هذا المجال، إلى تقديم إجابات شافية لأسئلتها.

### الدراسات السابقة

فى مجال أدب المقاومة، أجريت دراسات حول قصة "القميص المسروق" ونظرية أبراهام ماسلو لتسلسل الحاجات. فيما يلى أقرب الدراسات إلى البحث الحالى:

#### أدب المقاومة فى أعمال غسان كنفانى

مقالة بعنوان «المبادئ النظرية لأدب المقاومة فى أعمال غسان كنفانى» بقلم محمد صادق بصيرى ونسرین فلاح، نُشرت عام ٢٠١٤م فى مجلة أدب المقاومة. تشير النتائج إلى أن الكاتب، بناءً على آلام طفولته فى الشتات، يعكس حزن وظلم الشعب الفلسطينى ويعتبر المقاومة السبيل الوحيد لتحرير فلسطين.

مقالة بعنوان «تحليل مكونات أدب المقاومة فى رواية "رجال فى الشمس" لغسان كنفانى» بقلم نعيم عمورى وسيد حسن نجاتى، نُشرت عام ٢٠١٩م فى مجلة البحث فى تعليم اللغة العربية وآدابها. تُظهر النتائج أن كنفانى يعتبر إسرائيل السبب الرئيسى لمشاكل فلسطين؛ لكنه يعتقد أن صمت الشعب الفلسطينى وعدم اعتراضه على معاناته يمنعهم من الانتصار على العدو، ولذلك، فإنه يحث الناس بكتاباتهِ على التفكير والنهوض لتحرير أنفسهم. رسالة ماجستير بعنوان «مظاهر أدب المقاومة فى المجموعة القصصية القصيرة "عن الرجال والبنادق" للكاتب غسان كنفانى» بقلم هنا خضيرى نيسى، نوقشت عام ٢٠٢٣م تحت إشراف نعيم عمورى فى جامعة شهيد تشمران الأهواز. تشير نتائج البحث إلى أن الكاتب أكد على حب الوطن، ومحاربة الظلم، والتضامن، ومعرفة العدو، والشوق إلى الشهادة، واليقظة فى مواجهة التهديد الصهيونى والإنجليزى.

#### المجموعة القصصية "القميص المسروق"

مقالة بعنوان «سيميائية اجتماعية للقصة القصيرة "القميص المسروق" لكنفانى

بالاعتماد على التراكيب الخطائية لهاليداي<sup>١</sup> « بقلم تورج زيني وند وسمية صولتي، نُشرت عام ٢٠١٧م في مجلة اللغة العربية وآدابها. تُظهر النتائج أنه على مستوى الفكرة، يوجد في بداية القصة خطاب يدفع بالشخص الفلسطيني نحو الهامش ويواجهه بمشاعر تسبب له الميل إلى الخيانة، لكن إدراك الحقيقة يمنعه من الخضوع لهذه الخيانة ويدفعه للانتقام من العدو. على المستوى التفاعلي، تصور علاقات شخصيات القصة الانتقال من الشك إلى اليقين في سياق الخيانة. على مستوى النص، أسهم التكرار والإحالة في زيادة تماسك النص.

رسالة ماجستير بعنوان «ترجمة وشرح رواية "القميص المسروق" من العربية إلى الفارسية للكاتب غسان كنفاني» بقلم ميلاد حساويان، نوقشت عام ٢٠٢٢م تحت إشراف على أكبر ملائي في جامعة ولي عصر رفسنجان. تُظهر النتائج أن الكاتب استخدم في قصصه شخصيات عربية قريبة وملموسة من شوارع فلسطين، حيث صور الشعب الفلسطيني فرداً فرداً وأظهر معاناتهم بشكل كامل.

### نظرية أبراهام ماسلو

مقالة بعنوان «تحليل الشخصية الرئيسية في رواية "أيام معه" بناءً على نظرية أبراهام ماسلو لتحقيق الذات» بقلم ييمان صالحى وكلثوم باقرى، نُشرت عام ٢٠٢٢م في مجلة الأدب العربى. تُظهر النتائج أن وجود العادات والتقاليد الخاطئة في هذه القصة حرم النساء والفتيات من تحقيق الذات وتطوير إمكاناتهن. تحتاج الشخصية الرئيسية في هذه القصة فقط إلى داعم لإزالة العقبات من أجل تحقيق الذات.

مقالة بعنوان «دراسة الشخصية الرئيسية في رواية "اختفاء السيد لا أحد" بناءً على نظرية أبراهام ماسلو» بقلم عباس قنجعلی، فائزة إيزى وسيد مهدي نوري كيدقاني، كُشفت عام ٢٠٢٤م في مجلة نقد الأدب المعاصر الأدبي. تُظهر الدراسات أن الشخصية الرئيسية تصل إلى تحقيق الذات من خلال امتلاك "قيم الكينونة" والتحرك في مسار ما بعد الحاجات.

مقالة بعنوان «توصيف الشخصيات في رواية "ملك الهند" لجبور الدويهي استناداً إلى نظرية أبراهام ماسلو» بقلم مجيد صالح بك وهايده عجرش، كُشفت عام ٢٠٢٥م في مجلة دراسات الأدب القصصي. معظم شخصيات الرواية منغمسة في الحاجات الأساسية ولا تصل إلى تحقيق الذات؛ ولكن في شخصية زكريا، يمكن ملاحظة مكونات تحقيق الذات في نهاية المطاف بسبب صراعاته الداخلية.

من خلال الدراسات المذكورة، يتضح أنه لم يتم حتى الآن تناول قصة "القميص المسروق" بالتركيز على النظريات النفسية، بما في ذلك نظرية أبراهام ماسلو.

### الأسس النظرية

#### أبراهام ماسلو وتفسير نظرية تدرج الحاجات

وُلد أبراهام هارولد ماسلو عام ١٩٠٨م في حي بروكلين بولاية نيويورك الأمريكية. منذ سنوات طفولته الأولى، اتجه إلى الدراسة والقراءة، وفي السابعة عشرة من عمره التحق بالكلية. في العشرين من عمره، غير حدثان حياته بشكل ملحوظ: الزواج والتعرف على علم النفس السلوكي<sup>١</sup>. درس وبحث في السلوكية لعدة سنوات، لكن ولادة طفله غيرت وجهة نظره تجاه السلوكية. في رأيه، لا يمكن لمن يصبح أباً أن يظل سلوكياً. قدم ماسلو الإنسانية<sup>٢</sup> كموجة ثالثة في علم النفس بعد التحليل النفسي والسلوكية. في الواقع، كان الهدف الأساسي لـ ماسلو هو فهم مدى قدرة الإنسان على التطور والازدهار. ويعتقد أن هناك ميلاً فطرياً لدى البشر لتحقيق أقصى إمكاناتهم. (شولتز، ٢٠٠٦م: ٨٧-٩١)

في عام ١٩٤٣م، قدم ماسلو نظرية تحفيزية، مستعيراً مفهوم تحقيق الذات من أعمال كورت غولدستاين<sup>٣</sup> ومكملاً آراء السابقين، بنيت على مجموعة من الحاجات الفطرية والمتدرجة، ويؤدي تلبية هذه الحاجات إلى الشعور بالرضا عن الحياة. (راس، ٢٠٠٣م: ١٣٢) وفقاً لهذه النظرية، يتمتع جميع الأفراد بدافع لتحقيق الذات، وإذا تم تلبية حاجاتهم

1. Behavioral Psychology

2. Humanism

3. Kurt Goldstein

المرحلية، وبمساعدة الذكاء والإرادة، بالإضافة إلى التحكم فى العوامل البيئية المسببة للتوتر والتحدى التى تؤدى إلى إضعاف الروح المعنوية، يمكنهم تحقيق الذات من خلال تطوير المواهب التى تمهد الطريق للوصول إلى الكمال. (فرانك، ١٩٩١م: ٢٢٣)

يرى ماسلو أن تحقيق الذات صفة عامة جداً، ويمكن أن تتجلى فى أى نوع تقريباً من السلوك. «ليس الرسام أو الموسيقى أو الكاتب أو الممثل وحده من يحقق ذاته، بل كل شخص فى أى مكان، فى عملية أن يصبح أكثر انسجاماً وتكاملاً واكتمالاً كشخص، هو فى الواقع على طريق تحقيق الذات.» (كارفر وشير، ٢٠٠٨م: ٥١٨) بالإضافة إلى إيمانه بتأثير البيئة كعنصر أساسى فى ازدهار المواهب الفردية، يعتقد ماسلو، خلافاً لفرويد، أن الإنسان ليس لديه فطرة شريرة. بحيث أنه إذا توفرت بيئة لتلبية حاجاته، فمن الممكن أن يصل إلى الكمال الإنسانى. فى رأيه، ما يوجه سلوك الإنسان هو تدرج حاجاته. (ماسلو، ١٩٨٨م: ١٣٨)

على الرغم من أن هذا التدرج غالباً ما يمثل على شكل هرم، إلا أن ماسلو نفسه لم يرسم هرمًا ولم يدعمه. بعد حوالى عشرين عاماً من طرح ماسلو لهذا التدرج، قام عالم نفس استشارى بتصويره لأول مرة فى مجلة تجارية. الحاجات الخمسة التى تشكل هذا التدرج هى حاجات إرادية؛ أى أنها ذات طبيعة جهدية وتحفيزية. (فيسست وآخرون، ٢٠٢٢م: ٣٨٩)

هذه الحاجات من أدنى مستوى إلى أعلاها هى كالتالى: أولاً: الحاجات البيولوجية أو الفسيولوجية<sup>١</sup>: هذه الحاجات ضرورية لبقاء الإنسان واستمرار حياته، مثل الغذاء والملبس والمأوى. ثانياً: الحاجات الأمنية<sup>٢</sup>: أى عدم تهديد صحة الإنسان وممتلكاته وحياته من قبل العوامل البيئية. ثالثاً: الحاجة إلى الحب والانتماء<sup>٣</sup>: الحاجة إلى إقامة علاقات عاطفية وحب متبادل مع الآخرين. رابعاً: الحاجات المتعلقة بتقدير الذات<sup>٤</sup>: إدراك الفرد لقيمته الوجودية واعتقاده بأنه يحظى بالاحترام من قبل الآخرين. إذا لم

1. Physiological needs
2. Safety needs
3. Belonging and love needs
4. Self-esteem needs

يحقق الأفراد الاحترام اللازم لهم باستخدام أساليب بناءة، فمن الممكن أن يلجأوا إلى سلوكيات غير سوية للوصول إليه. خامساً: الحاجة إلى تحقيق الذات: أى يجب توفير بيئة لتطوير المواهب الكامنة. من المسلم به أن تحقيق الحاجات التى تقع فى قمة الهرم يستلزم تحقيق حاجات المستويات الأدنى. (ماسلو، ١٩٨٨م: ١٣٨)



الصورة (١). هرم ماسلو للحاجات (سيد عبد الرحمن، ١٩٩٨م: ٤٣٦)

بالإضافة إلى هذه الحاجات الأساسية الخمس، حدد ماسلو ثلاث فئات أخرى من الحاجات:

الحاجات الجمالية<sup>٢</sup>: بخلاف الحاجات الأساسية التى تتسم بالعمومية، فإن هذه الحاجات ليست شاملة؛ ولكنها تحرك بعض الأفراد على الأقل فى كل ثقافة نحو الحاجة إلى الجمال والتجارب الفنية الممتعة. الحاجات المعرفية<sup>٣</sup>: يميل معظم الناس إلى المعرفة، وحل الألغاز، والفهم، والفضول. أطلق ماسلو على هذه الميول اسم الحاجات المعرفية. الحاجات العصائية<sup>٤</sup>: هذه الحاجات غير صحية وغير مجدية. إنها تديم أنماط

1. Self-actualization needs
2. Aesthetic Needs
3. Cognitive Needs
4. Neurotic Needs



الحياة غير الصحية ولا تساهم فى تحقيق الذات بأى شكل من الأشكال. عادةً ما تكون الحاجات العصابية تفاعلية، وبعبارة أخرى، تنشأ لتعويض الحاجات الأساسية غير الملباة. (فيست وفيست، ٢٠٠٥م: ٥٩٧-٥٩٦)

### الأدب المقاومة فى فلسطين

تشكّل الأدب المقاومة الفلسطينية فى خضم الفوضى والاضطرابات التى أعقبت احتلال الأراضى الفلسطينية من قبل الصهاينة عام ١٩٤٨م، وما تلاه من تهجير الفلسطينيين. ومنذ البداية، أثرى الشعراء والكتاب الفلسطينيون هذا الأدب وأغنوه يوماً بعد يوم، من خلال إبداعاتهم الشعرية والقصصية والمقالات النقدية والاجتماعية التى نشرت فى الدوريات.

يعود مصطلح "أدب المقاومة" بمجذوره إلى نضالات الشعب الفلسطينى. وكان غسان كنفانى (١٩٣٦-١٩٧٢م)، الكاتب والصحفى والمناضل الفلسطينى الشهيد، وأحد قادة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، أول من استخدم هذا المصطلح. ففى عام ١٩٦٦م، جمع كنفانى مجموعة من قصائد الشعراء الفلسطينيين فى كتاب أسماه "أدب المقاومة فى فلسطين". وفى المقدمة المطولة لهذا الكتاب، تناول كنفانى النشاطات الأدبية للفلسطينيين المهجرين والمنفيين، وقدم أدب المقاومة الفلسطينى إلى العالم. وهكذا، فتح مصطلحا "المقاومة" و"أدب المقاومة" طريقهما إلى اللغات والثقافات الأخرى، وانتشرا كتسمية لنوع خاص من الأدب. (ترايبى، ٢٠١١م: ٢٥٠)

### ملخص قصة "القميص المسروق"

هذه القصة هى الأولى من كتاب "القميص المسروق" لغسان كنفانى (١٩٣٦-١٩٧٢م)، والذى يضم ثمانى قصص قصيرة. تصور القصة حياة عائلة فلسطينية مكونة من ثلاثة أفراد، حيث أدت إقامتهم فى خيام مخيمات اللاجئين الفلسطينيين إلى بروز تحديات فى حياتهم. يتعرض رب الأسرة، أبو عبد، لوم زوجته المستمر بسبب البطالة وعجزه عن تأمين الحاجات الأساسية كالطعام؛ لذا تدفعه هذه الصعوبات إلى التفكير فى السرقة، ويحرضه أبو سمير - أحد سكان المخيم - على ذلك. لكن بعد أن يكتشف

سبب تأخر توزيع الطحين على العائلات، والذي كان ناتجاً عن صفقات أبي سمير مع الضابط الأمريكي، يتجنب السرقة ويقتل أبا سمير.

## بحث ودراسة

### الحاجات الفسيولوجية

تمثل الحاجات الفسيولوجية، كما أسسها أبراهام ماسلو، الركيزة الجوهرية لوجود الإنسان ككائن مُعقّد. يشدّد ماسلو على أن «إشباعها أكثر ضرورة بكثير من حاجات المستويات العليا. فالشخص الذى يفتقر إلى الطعام والأمن والحب والاحترام، يملكه شغف أكبر تجاه الطعام.» (ماسلو، ١٩٩٣م ب: ٧١) وتتضمن هذه الحاجات: الهواء، الغذاء، الماء، المأوى، الدوافع الجنسية، والنوم.

### الغذاء

غالباً ما يهيمن توفير الغذاء على سائر الحاجات الفسيولوجية، لدرجة أن ماسلو يرى أن «الأشخاص الذين يعانون من الجوع المستمر، دافعهم الوحيد هو الأكل. لا شيء يهمهم سواه، وما دام هذا الاحتياج غير مُلبى، سيظل دافعهم الأساسى هو البحث عن قوتهم.» (فيسست وآخرون، ٢٠٢٢م: ٣٨٩) فى قصة "القميص المسروق"، يشكل توفير الغذاء محور الحاجات الأساسية لأبى العبد.

«وَلَكِنَّهُ يَخَافُ أَنْ يَدْخُلَ هَذِهِ الْخَيْمَةَ، إِنَّ فِي مُحَاجِرِ زَوْجِهِ سُؤلاً رَهيباً مَا زَالَ يَقْرَعُ فِيهِمَا مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ، لَا، إِنَّ الْبَرْدَ أَقْلُ قَسْوَةٍ مِّنَ السُّؤَالِ الرَّهيبِ. سَتَقُولُ لَهُ إِذَا مَا دَخَلَ وَهِيَ تَغْرِسُ كَفَّيْهَا فِي الْعَجِينِ، وَتَغْرِسُ عَيْنَيْهَا فِي عُيُونِهِ: هَلْ وَجَدْتَ عَمَلاً؟ مَاذَا سَنَأْكُلُ إِذَنْ؟....وَنَصَبَ قَامَتَهُ بِهَدْوٍ لَّاهِثٍ، ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ عَادَ، فَاتَّكَأَ عَلَى الرَّفْشِ الْمَكْسُورِ، وَأَنْشَأَ يَحْدِقُ بِالْخَيْمَةِ الدَّاكَةِ مُسْتَشْعِراً قَلْقاً عَظِيماً.» (كنفانى، ٢٠١٣م: ٨)

تُنهك زوجة أبى العبد زوجها باستمرار بأسئلتها المتكررة وتوبيخاتها، نتيجة عجزه عن تلبية الحاجات الأولية كالغذاء. تُشكل هذه التوبيخات هجوماً مباشراً على هوية أبى العبد الرجولية، ما يحطّم معنوياته ويدفعه إلى تفضيل قسوة البرد خارج الخيمة على الدفء الداخلى المصحوب بتوبيخات زوجته. فى هذا الموقف، ينتابه قلق شديد،

فيلجأ إلى آلية الدفاع بالتجنب<sup>١</sup> لمقاومة هذا القلق. تُعرّف هذه العملية بأنها تجنب الفرد للأعمال والمواقف غير المريحة للابتعاد عن الانزعاج. (فرويد، ٢٠١٨م: ١٢٦) ويبدو أن سلوك أبي العبد هذا، المتمثل في عدم دخول الخيمة ومواجهة أسئلة زوجته، يمثل مقاومة سلبية ومحاولة لحماية ذاته من المشاعر السلبية والقلق الناجم عن هذا التفاعل. بالإضافة إلى ذلك، وبما أن «الضغوط الناتجة عن القلق يمكن أن تكون محفزاً لتفعيل آلية الدفاع الكبت<sup>٢</sup>؛ وهذا يعني أن التجارب غير السارة والمثيرة للقلق تُدفع إلى اللاوعي لحماية الفرد من المعاناة الناجمة عن ذلك القلق.» (فيست وفيست، ٢٠٠٥م: ٣٨)، يمكن القول إن نفس أبي العبد تلجأ إلى آلية الدفاع الكبت، وهي شكل من أشكال الثبات الداخلي، في محاولة لطرد وقمع الأفكار السلبية الناجمة عن عجزه عن توفير مستلزمات الأسرة وتوبيخات زوجته المتواصلة، بعيداً عن وعيه.

يرى ماسلو أن «الأفراد الجائعين ينصب كل اهتمامهم وفكرهم على الطعام، ويتخذون أى إجراء لتوفيره.» (فيست وآخرون، ٢٠٢٢م: ٣٩٨) تدفع الضغوط النفسية الناتجة عن انعدام الغذاء أبا العبد إلى التفكير في أفعال غير أخلاقية: «هُوَ يَسْأَلُ نَفْسَهُ: وَمَاذَا لَوْ سَرَقْتُ؟» (كنفاني، ٢٠١٣م: ٨) يتضح أن مسألة الطعام تُسهم في توجيه أفكاره نحو السرقة والصراع بين "الهي<sup>٣</sup> والأنا"<sup>٤</sup> لديه. فالهي يسعى إلى اللذة وغير عقلاني، وهدفه تحقيق اللذة دون اعتبار للصواب أو الخطأ. أما الأنا، فهي المجال الوحيد في العقل الذى يتصل بالواقع وتسعى إلى إحلال الواقع محل لذة الهي. (السيد عبد الرحمن، ١٩٩٨م: ٤٧-٥٠) إن سؤال أبي العبد لنفسه: ماذا لو سرقت؟ يدل على ذروة الصراع بين الهي والأنا. فى الواقع، يسعى الهي إلى الإشباع الفوري للحاجة، دون اكتراث بالعواقب أو الاعتبارات الأخلاقية، ومن هنا يطرح إغراء السرقة كحل ممكن

1. Avoidance Defense Mechanism
2. Repression Defense Mechanism
3. Id
4. Ego

٥. خلال عشرينيات القرن الماضى، قسّم سيغموند فرويد بنية العقل إلى ثلاثة مجالات وظيفية: الهي، والأنا، والأنا العليا. هذه المجالات الوظيفية هي مجرد تراكيب افتراضية ليس لها وجود مكاني.

وسريع. لكن الآن، بتقييمها للواقع والنتائج المحتملة لهذا الفعل، تتدخل وتحاول مقاومة دافع الهى بتقديم حل منطقي ومقبول. ويمكن اعتبار هذه المقاومة صراعاً للحفاظ على الكرامة الإنسانية والأطر الأخلاقية في ظل ظروف متدهورة.

يعتقد ماسلو أن «الانشغال الوحيد للشخص الذي عانى من الجوع لفترة طويلة هو الطعام. في مثل هذه الحالة، يرى الفرد الطعام فقط في يقظته ومنامه، ولا يدرك سواه، وكل فكره وهمه هو الطعام.» (ماسلو، ١٩٩٣م ب: ٧٢) لقد استحوذ توفير الطعام على ذهن أبي العبد لدرجة أدت إلى حدوث زلة لسان: «مَاذَا تَعْمَلُ يَا أَبَا الْعَبْدِ؟ إِنِّي أَحْفَرُ طَحِيناً، نَحْفِرُ مَاذَا؟ أَحْفِرُ... أَحْفِرُ خَنْدَقاً.» (كنفاني، ٢٠١٣م: ٩) تتجلى هذه الزلة اللسانية أثناء محادثته مع أبي سمير، فلحظة الإجابة على سؤاله "ماذا تفعل يا أبا العبد؟"، يؤدي اختيار الكلمة الخاطئة "طحيناً" بدلاً من "خندقاً" إلى كشف أفكاره. وبما أن «العديد من الزلات اللسانية التي تحدث يومياً ليست عرضية، بل تشير إلى أهداف الفرد اللاواعية.» (فيست وفيست، ٢٠٠٥م: ٧١)، يمكن القول إن زلة لسان أبي العبد هذه هي صرخة لاواعية من أفكاره ورغباته العميقة المكبوتة، وتعبير عن الضغط العميق واللاواعي للحاجة إلى توفير الغذاء على ذهنه، مما أدى في النهاية إلى إبدال الكلمات.

## حاجات الأمان

تُشكل المكونات المندرجة ضمن الحاجات الأمنية ركيزة أساسية للارتقاء بالإنسان. ففي هذه المرحلة، يسعى الفرد إلى تحقيق «الأمن، الاستقرار، الانتماء، الدعم، العمل، تكوين الأسرة، امتلاك الممتلكات، الحفاظ على الصحة والسلامة الجسدية، وغيرها.» (ماسلو، ١٩٩٣م الف: ٧٤) ووفقاً لهرم ماسلو فإن تلبية حاجات المستويات الأولى تُفضي إلى ظهور حاجات المستويات اللاحقة. فعند إشباع حاجات المستوى الثاني، تبرز حاجات المستوى الثالث، وهكذا. (ماسلو، ١٩٨٨م: ٩) وبالتالي، فإن أى قصور في تحقيق هذه المكونات يضع المراحل المتبقية أمام تحديات جسيمة، ويمثل أى سعى لتحقيق هذه العوامل أو الحفاظ عليها مقاومةً ضد الانهيار.

## الأمن

تلعب الظروف البيئية والعوامل الاجتماعية دوراً حاسماً فى توفير الأمن، وذلك للحماية من الأضرار الجسدية والنفسية والاقتصادية. يؤكد ماسلو أنه «عندما تتعرض النظم والقوانين وسلطة المجتمع للتهديد، يمكن أن تتحول حاجات الأمن إلى أولوية ملحة.» (ماسلو، ١٩٩٣م ب: ٧٨) تقدم قصة أبى العبد مثلاً واضحاً على هذه الحالة. يتضح من سرد الرواية أن هذه الحاجة تنسم بالإلحاح، إذ يغيب أى أثر للأمن فى حياة أبى العبد نتيجة لغياب النظام والقانون الداعمين للناس. إن الحياة فى خيام اللاجئين الفلسطينيين هى ثمرة عجز المنظمات الاجتماعية والسلطة عن اتخاذ التدابير الأمنية والوقوف فى وجه عدوان العدو. وفى ظل هذه الظروف التى يخيم فيها انعدام الأمن على المجتمع، من المؤكد أن الجهود الفردية، إن وجدت، لن تكون كافية لتوفير الأمن على المستوى العام.

تُسبب الحياة فى مخيمات اللاجئين توترات عديدة، حصيلتها ضياع الأمن. ففى مثل هذه الظروف، يواجه الإنسان، بالإضافة إلى احتمالية التعرض للمخاطر البيئية، صراعات داخلية أيضاً، لأن غياب فرص العمل ومحدودية الموارد، إلى جانب خلق منافسات غير صحية، قد يؤدى إلى انعدام الأمن الغذائى والنفسى وغيرهما. ويشير ذلك إلى أن الهياكل المعيبة تُعيق الاستقرار الفردى والاجتماعى وتُساهم فى تفاقم التوترات.

«اسْمَعْ، إِنَّ مَا عَلَيْنَا هُوَ أَنْ نُخْرِجَ أَكْيَاسَ الطَّحِينِ مِنَ الْمَخْزَنِ وَنَذْهَبَ بِهَا هُنَاكَ، إِنَّ الْحَارِسَ سَيَمْهَدُ لَنَا كُلَّ شَيْءٍ كَمَا يَفْعَلُ دَائِماً، إِنَّ الَّذِي سَيَتَوَلَّى الْبَيْعَ لَيْسَ أَنَا، وَلَا أَنْتَ، إِنَّهُ الْمُوظَّفُ الْأَمِيرِكِي الْأَشَقْرُ. الْأَمِيرِكِي يَبِيعُ، وَأَنَا أَقْبِضُ، وَالْحَارِسُ يَقْبِضُ، وَأَنْتَ تَقْبِضُ، وَكُلُّهُ بِالِاتِّفَاقِ، فَمَا رَأَيْكَ؟» (كنفانى، ٢٠١٣م: ١٢)

بالنظر إلى أقوال أبى سمير وأفعاله، التى تشرح لأبى العبد كيفية السرقة من المستودع وتُبرر هذا الفعل، يمكن اعتبار هذا الجانب من شخصيته انعكاساً لوظيفة "الهُو". فالـ"هو" «يهرب من الوازع الدينى، وهو فاسد، عنيد، أنانى، ويسعى إلى تحقيق لذاته بأسرع وقت، ولا يبالي بالمستقبل.» (هريدى، ٢٠١١م: ٩٥) يبدو أن "هو" أبى

سمير، بوصفه الجزء الغريزي واللاواعي، يستغل تحريض أبي العبد على السرقة كوسيلة لتحقيق المنفعة واكتساب المال، متجاهلاً في سبيل ذلك العواقب الأخلاقية والقانونية. وهذا يشكل نوعاً من المقاومة الأنانية في مواجهة الحرمان، كما يظهر هيمنة هذا الجزء من بنيته الشخصية على الاعتبارات الواقعية.

يعد عجز أبي العبد عن تلبية الحاجات الأساسية، بالإضافة إلى جوع ومعاناة طفله وزوجته، التهديد الرئيسي لأمنه النفسى. ويتجلى هذا الانعدام للأمن فى صراعاته النفسية التى تظهر بوضوح ثبات مكونات شخصيته الداخلية:

«وَلَكِنَّهُ فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ رَاقَهُ أَنْ يُعُودَ يَوْمًا إِلَى خِيَمَتِهِ وَفِي يَدِهِ قَمِيصٌ جَدِيدٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَأَعْرَاضٌ صَغِيرَةٌ لِأَمِّ الْعَبْدِ بَعْدَ هَذَا الْحِرْمَانِ الطَّوِيلِ، كَمْ سَتَكُونُ ابْتِسَامَتُهُمَا جَمِيلَتَيْنِ، إِنْ ابْتِسَامَةُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لَوَحِدَهَا، تَسْتَحِقُّ الْمَغَامَرَةَ لَا شَكَّ... وَ... لَوْ نَجَحَ فَسَيُبْدُو عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنْسَانًا جَدِيدًا، وَسَيَقْتُلُ مِنْ عُيُونِ زَوْجِهِ ذَلِكَ السُّؤَالِ الْمُخِيفِ، لَوْ نَجَحَ، فَسَتَنْتَهِي مَأْسَاةُ الْخَنْدَقِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مُطَرَّةٍ وَسَيَعِيشُ حَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَصَوَّرَ الْآنَ الْوَصُولَ.» (كفاني، ٢٠١٣م: ١٢)

تُعد الظروف الأسرية المضطربة المحرك الأساسى لـ "الهُو" فى ذات أبي العبد. حيث ينشغل هذا الجزء من ذهنه بتحقيق اللذة والرضا من خلال إسعاد زوجته وابنه بشراء المستلزمات الضرورية لهما. وسعيًا لمقاومة الحرمان الطويل وتحقيق أهدافه، ينجح إلى طريق سريع، وهنا قد يعزّز اقتراح أبي سمير بالسرقة هذه الوسوسة. إلا أن "الأنا"، باعتبارها الحصن الرئيسى للاستقرار والمقاومة فى أبي العبد، تولد أفكاراً تتعارض مع هذه الرغبات:

«وَلَكِنَّهُ لَوْ فَشِلَ... أَى مَصِيرٍ أَسْوَدَ يَنْتَظِرُ أُمُّ الْعَبْدِ وَوَلَدُهَا يَوْمَهَا سَيَحْمِلُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صُنْدُوقَ مَسْحِ الْأَخْذِيَةِ لِيَتَكَوَّرَ فِي الشَّارِعِ هَازًا رَأْسَهُ الصَّغِيرَ فَوْقَ الْأَخْذِيَةِ الْأَنْيَقَةِ، يَا لِلْمَصِيرِ الْأَسْوَدِ.» (المصدر نفسه: ١٢)

تسعى "الأنا" فى أبي العبد إلى إحداث توازن بين رغبات "الهُو" القائمة على مبدأ اللذة، وقيود الواقع، بالإضافة إلى قيم "الأنا العليا". ورغم ضغط حاجات الأسرة ووساوس أبي سمير، فإن "الأنا" تجعله يأخذ العواقب المحتملة للسرقة فى الاعتبار. تُقدم

"الأنا" صورة واضحة لمستقبل طفله المتمثل في تلميع أحذية الآخرين ومصيره المظلم في حال فشلت خطة السرقة، وهو ما يمكن اعتباره استراتيجية مقاومة ذهنية. في الحقيقة، تُشير هذه التصورات إلى سعى "الأنا" لفهم الواقع والمقاومة في مواجهة اندفاعات "الذات". وبما أن "الأنا" «هى الجزء الوحيد من العقل الذى يتصل بالعالم الخارجى، وتضطلع بدور صانع القرار أو الوكيل التنفيذى للشخصية.» (فيست وآخرون، ٢٠٢٢م: ٤٥)، فإن "الأنا" تنتصر فى النهاية، مع الأخذ فى الاعتبار الأحداث الجارية والواقع: «وَحَظَرَ لَهُ أَنَّ ذَلِكَ الْأَمِيرِي كَانَ يَبِيعُ الطَّحِينَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي كَانَ يَقُولُ فِيهِ لِرَجَالِ الْمُخِيمِ وَلِنِسَائِهِ إِنَّ تَوْزِيعَ الْإِعَاشَةِ سَيَتَأَجَّلُ إِلَى نَهَايَةِ الْأَيَّامِ الْعَشْرَةِ الْأُولَى مِنَ الشَّهْرِ، وَأَحْسَنُ بِنَقْمَةٍ طَآغِيَةٍ. لَوْ يَدْرُ كَيْفَ رَفَعَ الرَّفْشَ إِلَى مَا فَوْقَ رَأْسِهِ وَكَيْفَ هَوَى بِهِ بِعُنْفٍ رَهِيْبٍ عَلَى رَأْسِ أَبِي سَمِيرٍ.» (كنفاني، ٢٠١٣م: ١٤-١٥)

عندما يتأمل أبو العبد حرمان نفسه وأسرته وسكان المخيم الآخرين، الناجم عن أفعال الموظف الأمريكى الظالمة المتمثلة فى بيع الدقيق وتأخير توزيعه، ينتابه غضب عارم. ويستغل لا شعورياً آلية الدفاع المسماة الإزاحة، التى ينقل الفرد من خلالها مشاعره غير المناسبة من موضوع معين إلى آخر، أو من شخص معين إلى شخص آخر أكثر تقبلاً وأقل خطورة. (هريدى، ٢٠١١م: ٩٩) يبدو أن أبا العبد يفرغ كل الغضب الذى كان يضره تجاه الموظف الأمريكى بقتل أبى سمير، الذى يحتمل أن يكون أقل خطورة عليه من الموظف الأمريكى. ويشير هذا الغضب إلى مقاومته الأخلاقية للظلم والاستغلال، ويمكن أن يكون قتل أبى سمير مؤشراً على استخدامه لآلية الإزاحة.

### حاجات الحب والانتماء

عندما تُشبع الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمان إلى حدٍ ما، تُصبح الحاجة إلى الانتماء والحب محفزات أساسية للسلوك. لذلك، «يصبح لدى الفرد ميلٌ شديداً لإقامة علاقات حميمة مع الآخرين، ويعانى من ألم شديدٍ وشعورٍ قاسٍ بالوحدة نتيجة فقدان الأصدقاء أو الزوج أو الأبناء.» (السيد عبدالرحمن، ١٩٩٨م: ٤٣٧) كما يرى

ماسلو أن الترابط العاطفي والعلاقات الأسرية، والانتماء إلى المجموعات العائلية والصدقات ومجموعات العمل، هي من أهم مظاهر الحاجات الاجتماعية في هذا المستوى. (ماسلو، ١٩٩٣م ألف: ٩) ويمكن القول إن العلاقات الأسرية، نظراً لطبيعتها الأساسية والأعمق والأكثر استقراراً في الغالب، تلعب دوراً محورياً في هذا المستوى.

### العلاقات الأسرية

تؤثر الحاجات الفسيولوجية وحاجات الأمان بشكل كبير على جودة العلاقات البينية، وخاصة العلاقات الأسرية. يعتقد ماسلو أن «الجنة المأمولة لشخص يصارع الجوع الشديد والطويل، ستكون على الأرجح مجرد مكان يتوفر فيه الطعام بوفرة. وقد يعتبر الحب والانتماء الاجتماعي والتقدير والفلسفة مظاهر لا قيمة لها، لأنها لا تستطيع إشباع بطنه ولا تقدم له أى فائدة.» (ماسلو، ١٩٩٣م ب: ٧٢)

في القصة المذكورة أيضاً، أثرت ظروف الحياة القاسية على الحاجات الاجتماعية، وخاصة العلاقات الأسرية. في الواقع، إن هم أبي عبد الرئيس لتلبية الحاجات الأساسية قد قلل من الوقت والاهتمام الذي يخصصه لتقوية الروابط العاطفية ومقاومة اهتزاز الأسرة. لكن في هذا السياق، فاقمت طريقة تعامل أم عبد مع المشكلات هذا التذبذب في العلاقات:

«وَلَكِنَّهُ يَخَافُ أَنْ يَدْخُلَ هَذِهِ الْخَيْمَةَ، إِنَّ فِي مُحَاجِرِ زَوْجِهِ سُؤلاً رَهيباً مَا زَالَ يَفْرَعُ فِيهِمَا مِنْذُ زَمَنْ بَعِيدٍ، لَا، إِنَّ الْبَرْدَ أَقْلُ قَسْوَةٍ مِنَ السُّؤَالِ الرَّهيبِ. سَتَقُولُ لَهُ إِذَا مَا دَخَلَ وَهِيَ تَغْرِسُ كَفَّيْهَا فِي الْعَجِينِ، وَتَغْرِسُ عَيْنَيْهَا فِي عُيُونِهِ: هَلْ وَجَدْتَ عَمَلاً؟ مَاذَا سَنَأْكُلُ إِذَنْ؟ كَيْفَ اسْتَطَاعَ (أَبُو فَلَانٍ) أَنْ يَشْتَغَلَ هُنَا، وَكَيْفَ اسْتَطَاعَ (أَبُو عَلْتَانٍ) أَنْ يَشْتَغَلَ هُنَاكَ؟ وَسَتَهْزُ رَأْسَهَا بِصَمْتٍ أَبْلَغَ مِنْ أَلْفِ أَلْفِ عِتَابٍ... مَاذَا عِنْدَهُ اللَّيْلَةُ لِيَقُولَ لَهَا سِوَى مَا يَقُولُهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ.» (كنفاني، ٢٠١٣م: ٨)

يفضل أبو عبد البرد القارس على دفء الخيمة بسبب سلوك زوجته المعاتب الذي يلومه على نقص الطعام والعمل، ومقارنتها المستمرة له برجال المخيم الآخرين. لكن في المقابل، كان بإمكان أبي عبد أن يقاوم تفكك العلاقات العاطفية من خلال الحوار



البناء، وشرح القيود، ومحاولة إثارة تعاطف زوجته. فى المقابل، بدلاً من تبنى أم عبد لنهج المقاومة فى شكل التعاطف والتفاهم المتبادل، حوّلت البيئة الأسرية، التى ينبغى أن تكون المصدر الرئيسى للدعم العاطفى، إلى مصدر ضغطٍ من خلال أسئلتها المتكررة، ومعاتبتها المتواصلة، ومقارناتها المدمرة، وفى النهاية صمتها الثقيل. إن أفعال أم عبد، والمناقشات المنهكة، وغياب التواصل الفعال، وعدم وجود جهد مشترك للتغلب على المشكلات، لم تُضف إلى مشاعر عدم الانتماء والنبد لدى أبى عبد - وهو ما يؤكده خوفه من دخول الخيمة - فحسب، بل أدت أيضاً إلى الانفصال والوحدة لكلا الطرفين، وهو ما لا يثمر إلا برودة وتضاؤل العلاقات الأسرية.

تُخلق مثل هذه الظروف تحدياتٍ أعمق للأطفال نظراً لهشاشتهم النفسية الأكبر: «ثُمَّ سَتَشِيرُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُكَوَّرِ فِي زَاوِيَةِ الْخِيَمَةِ كَالْقِطِّ الْمَبْلُولِ.» (المصدر نفسه: ٨) يظهر هذا الوصف أن عبد الرحمن مُكَوَّرٌ فى زاوية الخيمة كقطٍ مبلول. ويمكن استنتاج أن غياب الطعام فى هذه الظروف له قيمة نفسية بالنسبة لعبد الرحمن؛ لأن ماسلو يعتقد: «الطفل الذى يحرم من الحصول على مثلجاتٍ قد لا يفقد إشباعاً حسيّاً فحسب، بل قد يشعر بالحرمان من عاطفة أمه؛ وذلك لأنها رفضت شراء المثلجات له. فى نظر الطفل، المثلجات لا تحمل قيمة جوهرية فحسب، بل يمكن أن تحمل قيمة نفسية أيضاً.» (ماسلو، ١٩٩٣م ب: ١٦٠) بالنظر إلى مثال ماسلو الذى يشير إلى أن شراء المثلجات يمكن أن يفسر فى نظر الطفل كرمزٍ للمحبة والاهتمام، ورفض شرائها كإهمالٍ من الوالدين، حتى لو كان سبب الرفض قيوداً مالية، أو الحفاظ على صحة الأسنان، أو أسباباً منطقية أخرى لا يفهمها الطفل.

فى حالة عبد الرحمن، الظروف أصعب وأكثر تعقيداً بكثير؛ لأنه يواجه حرماناً متعدد الأوجه يهدد بقاءه. فى مثل هذه الحالة، يمكن أن تُلحق معاتبات أم عبد ضرراً كبيراً بعبد الرحمن؛ لأنه قد يفسر غياب الطعام ليس بسبب الحرمان العام، بل بسبب قلة اهتمام والده به، وقد يرى مُشاجرة والدته تأكيداً لهذا التصور. فى هذا الوضع، يبدو أن عبد الرحمن قد لجأ إلى السلوك التعبيرى<sup>١</sup> الذى طرحه أبراهام ماسلو. «السلوك

التعبيرى عادةً ما يكون غريزياً وتلقائياً وتُشكله القوى الداخلية للفرد. وتشمل أمثلة هذا السلوك التحذب، التصرف بحماقة، الاسترخاء، والتعبير عن الفرح.» (فيست وآخرون، ٢٠٢٢م: ٣٩٧) فى الواقع، يمكن أن يكون تجمع عبدالرحمن فى زاوية الخيمة محاولةً لا واعية وسلوكاً تعبيرياً للتعبير عن الانزعاج، واللجوء، وكذلك جذب انتباه والديه لإثارة تعاطفهما ومحبتهما. إن تشبيهه بقطّ مبلول يظهر بوضوح حالته العاطفية الهشة، وضعفه، وعجزه، وحاجته إلى الدعم والدفع العاطفى. يبدو أنه فى مثل هذه الظروف، كان بإمكان أبى عبد وزوجته أن يعبرا عن الحب اللفظى أو الجسدى البسيط، وهو مجد ذاته نوعاً من المقاومة ضد التفكك العاطفى للطفل، وأن يرسيا شعور عبدالرحمن بالانتماء والاستقرار النفسى.

### حاجات التقدير

تساهم عوامل مثل الشهرة، والمستوى التعليمى، والمكانة الاجتماعية، والثروة، فى اكتساب الأفراد للاحترام. وقد ذكر ماسلو أن «حاجات هذه المرحلة تشمل الإنجاز، والكفاءة، والاستقلالية والحرية، والمكانة الاجتماعية، والحاجة إلى الاحترام.» (ماسلو، ١٩٩٣م ألف: ٨٠) يبدو أن عنصر الاستقلالية والحرية يحمل علاقة معقدة ومتناقضة أحياناً مع العناصر الأخرى فى هذا المستوى. على سبيل المثال، قد يتطلب الحصول على مكانة اجتماعية عالية قبول قيود على الحرية الشخصية ضمن الأطر الاجتماعية والوظيفية.

### الاستقلالية والحرية

إن بيئة المقاومة وما يترتب عليها من عدم إشباع الحاجات الدنيا تؤدى إلى إغفال الفرد لإخفاق الحاجات العليا. فى هذا الصدد، يؤكد ماسلو أن «الرجل الذى يعيش على الكفاف لن يقلق كثيراً بشأن أمور الحياة الرفيعة، كالحرية، وحق التصويت، وسمعة مدينته، والاحترام؛ فإن اهتمامه سينصبّ قبل كل شىء على الحاجات الأساسية.» (ماسلو، ١٩٩٣م ب: ١١٥) إن الحياة فى الظروف الصعبة لمخيمات اللاجئين الفلسطينيين تمثل مثلاً صارخاً على وضع يتناقض بشدة مع حاجات الاحترام، وخاصة الاستقلالية

والحرية. ومع ذلك، وكما يتضح من الحوار بين أبى سمير وأبى العبد فى القصة المذكورة، فإن هذه القيود الخارجية لا تؤدى بالضرورة إلى سلب كامل الحرية الفرد فى التفكير واختيار الأفعال: «إِسْمَعِ إِنَّ هَذَا الْأَمِيرَ كَيْ صَدِيقِي، وَهُوَ إِنْسَانٌ يَحِبُّ الْعَمَلَ الْمُنَظَّم، إِنَّهُ يَطْلُبُ مِنِّي دَائِمًا أَنْ أَضَعِ الْوَقْتَ بِالْمُقَدِّمَةِ. وَهُوَ لَا يَحِبُّ التَّأْخِيرَ فِي الْمَوَاعِيدِ... عَلَيْنَا أَنْ نَبْدَأَ الْآنَ. أَسْرِعْ.» (كنفانى، ٢٠١٣م: ١٤) و «لَا، بَلْ أَنْتَ الْمُسْكِينُ.» (المصدر نفسه: ١٢) يتضح من النص أن أبى سمير يقر بأن الرجل الأمريكى صديقه، وأنه يفضل العمل المنظم وفى المواعيد المحددة، كما يصف أبى العبد بأنه "مسكين".

يبدو أن أبى سمير يرى فى السرقة وسيلة للهروب من القيود الشاقة للمخيم، ورغم هذه الظروف الصعبة، فإنه يتمتع بنوع من الحرية فى اختيار هذا الفعل وتبنى موقف انتهازى. يتوافق هذا إلى حد ما مع وجهة نظر فيكتور فرانكل<sup>١</sup> الذى يعتقد أن «الإنسان مخلوق حر، وحتى الظروف البيئية لا يمكن أن تسلبه هذا الحق فى الاختيار.» (شولتز، ١٩٩٠م ألف: ١٥٦) فى البيئات التى يسود فيها الشعور بالعجز والضعف، قد تؤدى محاولة تعزيز الثقة بالنفس الهشة إلى سلوكيات معينة. من هنا، يمكن استنتاج أن تأكيد أبى سمير على صداقته بشخص أمريكى ذى نفوذ، وتقديمه صورة منظمة ودقيقة عن نفسه، و وصف أبى العبد بالمسكين، يمثل محاولة لإظهار القوة وإصلاح تقدير الذات المتضرر، وكذلك مقاومة لقبول دور الضحية. ومع ذلك، فإن رد فعل أبى العبد يشير إلى أن المقاومة فى ظروف مماثلة يمكن أن تتخذ أشكالاً مختلفة، ويمكن للأفراد أيضاً أن يتبنوا مواقف مختلفة: «وَشَعَرَ أَبُو الْعَبْدِ أَنَّ الْقَضِيَّةَ أَشَدَّ تَعْقِيدًا مِنْ سَرَقَةِ كَيْسٍ أَوْ كَيْسَيْنِ أَوْ عَشْرَةٍ وَرَأَوْدَهُ شُعُورٌ لَزِجٌ بِالْقَرْفِ مِنَ الْمَعَامَلَةِ مَعَ هَذَا الْإِنْسَانِ.» (كنفانى، ٢٠١٣م: ١٢) و «فِي كُلِّ خِيَامٍ قَرْيَةِ النَّازِحِينَ كَانَتِ الْعُيُونُ الْمُتَلَهِّفَةُ تَقَعُ فِي خَبِيَّةِ الْأَمَلِ ذَاتِهَا، كَانَ عَلَى كُلِّ طِفْلِ فِي الْمَخِيمِ أَنْ يَنْتَظِرَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ لِيَأْكُلَ خُبْزًا.» (المصدر نفسه: ١٤) تجدر الإشارة إلى أنه عندما أدرك أبو العبد أن الصفقة أكبر من مجرد سرقة بضعة أكياس من الدقيق، شعر بامتزاز من التعامل مع هذا الرجل، كما تذكر أن جميع أطفال المخيم كانوا ينتظرون عشرة أيام للحصول على الخبز.

على الرغم من أن الظروف التي يعيشها أبو العبد وعائلته تدل على نقص في الإحساس بالحرية وتهدد بشدة تقدير أبي العبد لذاته وتقلل من قيمته الذاتية، إذ أن «عدم إشباع هذه الحاجة يؤدي إلى مشاعر مثل الدونية، والعجز، واليأس.» (ماسلو، ١٩٩٣م ب: ٨٢)، إلا أنه، مثل أبي سمير، يتمتع بحرية الاختيار وتحديد مواقفه وأفعاله. في الواقع، على الرغم من الضغوط الخارجية التي تدفعه نحو السرقة، فإن شعور الاشمزاز الذي يكنه أبو العبد تجاه التعامل مع الرجل الأمريكي يدل على حرته في الاختيار، ومقاومته للضغوط الخارجية، والتزامه بقيمه الأخلاقية الداخلية. يمكن القول إن حديث أبي العبد عن خيبة أمل جميع سكان المخيم وانتظار الأطفال للخبز، يشير إلى اختلاف وجهة نظره عن أبي سمير. فبينما يواجه الاثنان ظروفًا متشابهة، يفضل أبو العبد المصالح الجماعية والقيم الأخلاقية على المصلحة الشخصية. في المقابل، يفضل أبو سمير مصلحته الخاصة على حقوق الآخرين. ورغم أن وصف شخصية أبي سمير بـ"المضادة للمجتمع" يتطلب معلومات إضافية، إلا أنه نظراً لوجود علامات من هذا الاضطراب، مثل تجاهل حقوق الآخرين لتحقيق مصالح شخصية (غنبي، ٢٠١٣م: ٢٣٢)، يبدو أن أبا سمير يمتلك شخصية مضادة للمجتمع، أو على الأقل لديه قابلية للإصابة بهذا الاضطراب.

### حاجة تحقيق الذات

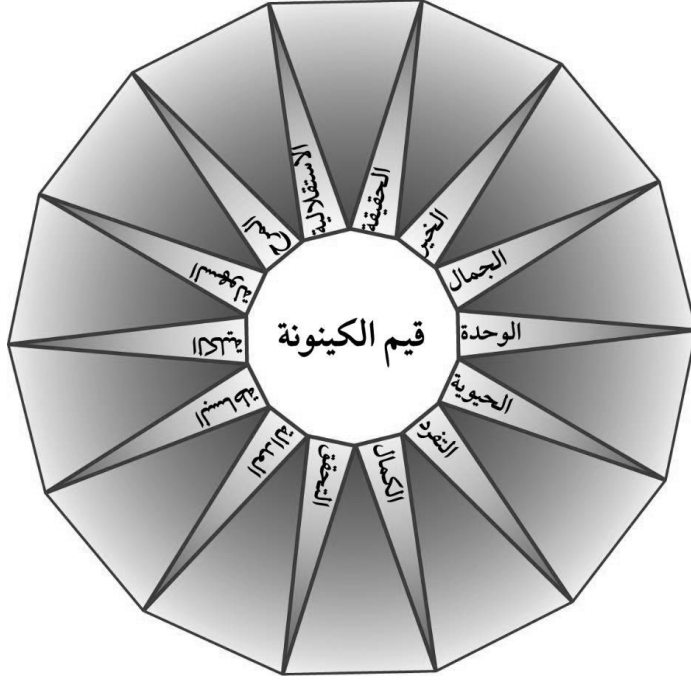
يعدّ تحقيق الذات أسمى مستويات الحاجات الإنسانية، ويتحقق عندما يتمكن الفرد من إبراز كامل إمكاناته الكامنة والوصول بها إلى أقصى مستوياتها. لكن، حتى مع إشباع حاجات التقدير، لا يصل الأفراد بالضرورة إلى مرحلة تحقيق الذات. يؤمن ماسلو بأن الذين يبلغون هذه المرحلة هم فقط من يعطون أهمية قصوى للحقائق الأبدية<sup>٢</sup> التي أسماها "قيم الكينونة"<sup>٣</sup> وبخلاف ذلك، حتى لو تم تلبية الحاجات الأساسية للفرد، فلن يحدث تحقيق الذات. تُعتبر هذه القيم الوجودية مؤشرات على الصحة النفسية، وهي

1. Antisocial personality

2. Eternal verities

3. B-values

تتناقض مع "حاجات النقص" التي تُحَفِّز الأفراد غير المحققين لذواتهم. وقد حدّد ماسلو أربع عشرة قيمة من قيم الكينونة، وأسماها "الحاجات العليا" ليشير إلى كونها مستوى أعلى من الحاجات. وهو يعتقد أن الحرمان من هذه القيم يؤدي إلى "المتاباثولوجيا" أو غياب فلسفة حياة ذات معنى. (فيست وآخرون، ٢٠٢٢م: ٣٩٣-٤٠٣) وتُعرض قيم الأفراد المحققين لذواتهم في الشكل (٢):



صورة (٢). قيم "الكينونة" لماسلو: جوهرية بخصائص متعددة (المصدر: فيست وفيست،

٢٠٠٥م: ٦٠٣)

في هذا المجال، ميز أبراهام ماسلو الأفراد المحققين لذواتهم عن غيرهم من خلال تقديم مجموعة من الخصائص لتوضيح مفهوم تحقيق الذات. وتشمل هذه الخصائص: إدراك أفضل للواقع والتعامل معه، مقاومة التماهي الثقافي، قبول الذات والآخرين،

1. Meta needs

2. Meta pathology

العفوية والبساطة والطبيعية، الحاجة إلى الخلوة، الإبداع والابتكار، التمييز بين الوسيلة والغاية، والتوجه نحو حل المشكلات. (ماسلو، ١٩٩٣م ب: ٢١٦-٢٣٨)

عند تحليل القصة، يتضح للوهلة الأولى أن لا توجد أى سمات للأفراد المحققين لذواتهم فى شخصية أبى عبد. ومع ذلك، فى خضم الأزمة، تظهر إشارات إلى اهتمامه ببعض "قيم الكينونة". يتجلى هذا الاهتمام فى سؤاله المفاجئ لأبى سمير عن مدة تعامله مع الحارس والموظف الأمريكى: «مُنْذُ مَتَى وَأَنْتِ تَتَعَامَلُ مَعَ هَذَا الْحَارِسِ وَذَلِكَ الْمُوظَّفِ؟» (كنفانى، ٢٠١٣م: ١٣) يطرح سؤاله فى أوج اضطرابه الذهنى، ويمكن اعتباره شرارة فضول ورغبة فى فهم الحقيقة كبعد من هذه القيم. هذا الفضول، بحد ذاته، هو نوع من الثبات المعرفى فى مواجهة الجهل المفروض ورغبة فى المعرفة. كما أن رد فعله العنيف بعد اكتشاف سبب نقص الدقيق، والذى أدى إلى قتل أبى سمير، على الرغم من أنه نابع من شعور بالخيانة وتهديد البقاء، يمكن أن يكون تعبيراً عن سعيه العميق للعدالة؛ وهى قيمة أخرى من قيم الباء التى تفعّلت فى ذاته مع إدراكه لحقيقة الأمر. هذه اللحظات، وإن كانت قصيرة وفى قلب موقف أزموى، يمكن اعتبارها إمكانية لاهتمامه بالقيم الأسمى. لكن، على الرغم من وجود إشارات ضئيلة فى شخصية أبى عبد، فإن انغماسه فى غمار المشكلات وتركيزه الحتمى على تلبية الحاجات الأساسية، حال دون توفير بيئة مناسبة لتوجه أبى عبد نحو تحقيق ذاته.

كما يرى ماسلو، «يرتبط تحقيق الذات ارتباطاً وثيقاً ببيئة حياة الأفراد.» (شولتز، ١٩٩٠م ألف: ٩٢) فبيئة المخيم، المليئة بالحرمان والنزوح وانعدام الأمن، حوّلت كل انتباه وطاقة أبى عبد نحو البقاء وتأمين الحاجات الأساسية. ويعترف ماسلو بأن «أقوى دافع للفرد الذى فقد كل ممتلكاته فى الحياة سيكون على الأرجح الحاجات الفسيولوجية، لا شىء آخر.» (ماسلو، ١٩٩٣م ب: ٧١) فى القصة المذكورة أيضاً، تنحصر مخاوف أبى عبد بوضوح فى المستويين الأولين من هرم الحاجات: «كَمْ يودُّ لَوْ أَنَّهُ يَنْتَشِلُ عبدالرحمن مِنْ هُزَالِهِ وَخَوْفِهِ.» (كنفانى، ٢٠١٣م: ١٣) و«كَانَ لَا يَزَالُ رَاغِباً فِي أَنْ يَرَاهُ يَنْتَسِمُ لِقَمِيصٍ جَدِيدٍ.» (المصدر نفسه: ١٥)

يرغب أبو عبد فى إنقاذ ابنه من الخوف، وحتى اللحظة الأخيرة، يتمنى أن يرى

ابتسامة ابنه بسبب حصوله على قميص جديد. فى بيئة المخيم القمعية، حيث يخيم الفشل والحرمان، وتتحوّل رغبات بسيطة مثل امتلاك قميص جديد وتأمين الأمان إلى أهداف كبيرة وبعيدة المنال، يتأجل الاهتمام بالحاجات والرغبات الأسمى فى هرم ماسلو وينسى، وذلك لأن المساحة اللازمة لظهور وتنمية إمكانات تحقيق الذات تُسلب من الأفراد. فى مثل هذه الظروف، لا يتجلى صمود أبى عبد فى سبيل تحقيق الذات بالمعنى الذى قصده ماسلو، بل يتجلى فى سبيل الحفاظ على الحد الأدنى من الإنسانية والبقاء.

### تحليل عدم تحقيق الذات لشخصية أبو عبد

فى خطاب المقاومة وأجوائها، وبسبب الظروف السائدة، غالباً ما يتركز اهتمام الأفراد على المعارك الخارجية والأهداف الجماعية الكبرى، بدلاً من التركيز على النمو والتطور الفردى (تحقيق الذات). فى مثل هذا السياق، تتقدم الذات الجماعية<sup>١</sup> التى تشمل الهوية المشتركة، والانتماءات الجماعية، والقيم الجمعية، على الذات الفردية<sup>٢</sup> التى تضم الرغبات والتطلعات والإمكانات الشخصية. بعبارة أخرى، توضع الفردية فى خدمة الجماعة؛ ولذلك، تتأجل رغبات الفرد وحتى أحلامه أو تضحي بها فى سبيل تحقيق الأهداف التى تؤكد عليها المقاومة. بناءً عليه، يمكن القول إن أجواء المقاومة، كعامل خارجى، قد تكون عائقاً أساسياً أمام معرفة الذات وتحقيق الحاجات الإنسانية السامية. وفى هذا السياق، يمكن اعتبار مقاومة الفرد الشخصية أيضاً عائقاً داخلياً يحول دون تحقيقه لذاته.

شخصية أبو عبد، كرمز للشعب الفلسطينى المظلوم والمتضرر من الحرب، تواجه مقاومة خارجية (الظروف التى يفرضها الكيان الصهيونى) ومقاومة شخصية (سعى الفرد لرفع القيود المفروضة). إن عجز أبى عبد عن تأمين حاجاته الفسيولوجية والأمنية، وقلة اهتمامه بالحاجات العاطفية، ونسيانه للحاجات التى تقع فى قمة هرم أبراهام ماسلو، هو نتيجة للظروف التى هياها له المجتمع وأجواء المقاومة. فوفقاً لمعتقد ماسلو: «السبب

1. Collective self

2. Individual self

الرئيسى فى أن عدداً قليلاً من الأفراد يستطيعون تحقيق إمكاناتهم الكامنة هو المجتمع الذى لا يستطيع توفير الإمكانيات اللازمة فى هذا المجال للأفراد.» (راس، ٢٠٠٣م: ١٣٣)

الظروف التى وُجد فيها أبو عبد، لا باختياره بل بالإجبار، فرضت عليه أثمان باهظة؛ تكاليف أبعدته عن مسار تحقيقه لذاته ووضعت خطأ أحمر على إمكانياته فى تحقيقها. لذلك، لا يمكن عزو عدم تحقيق أبى عبد لذاته إلى قصور فردى فيه فحسب، بل إن عدم تحقيق الذات هذا هو ثمرة هياكل اجتماعية وسياسية معيبة يمكن أن تلحق بالمجتمع أضراراً لا يمكن إصلاحها على المدى الطويل، لأن تدمير القدرات الفردية يعنى تدمير رأس المال البشرى وصناع المستقبل المبتكرين الذين يدفعون عجلة تقدم المجتمع على مختلف المستويات.

### النتيجة

أظهرت نتائج هذا البحث ما يلى:

فيما يتعلق بالسؤال الأول، يمكن القول إن مقاومة أبى عبد فى المواقف المختلفة من القصة لا تمثل تمرداً نشطاً ضد بنية النظام السائد. لقد لجأ بشكل أساسى إلى المقاومة السلبية والداخلية لمواجهة الدوافع الخارجية والضغط البيئية. ومع ذلك، لا تتغير طبيعة مقاومته وتتخذ طابعاً عنيفاً إلا عندما تشتعل شرارات القيم النبيلة مثل الحقيقة والعدالة فى داخله. عند هذه النقطة، تتخذ مقاومته ضد الاستغلال طابعاً ثورياً، وتتجلى فى قتل أبى سمير. يعبر هذا التحول عن أن تغيير نمط مقاومة أبى عبد يخدم المصلحة الجماعية.

أما بخصوص السؤال الثانى، فيمكن القول إن مقاومة شخصية أبى عبد لعدم تحقق أى مستوى من مستويات هرم ماسلو للحاجات قد أثرت على سلوكياته وعلاقاته وقراراته. فعلى مستوى السلوكيات، أدت مقاومة أبى عبد لعدم تلبية حاجات النقص، خاصة الحاجات الفسيولوجية والأمان، بهدف قمع حقائق الحياة غير السارة، إلى استخدام آليات دفاعية مثل التجنب والكبت. كما أن مقاومته الأخلاقية فى مواجهة



الظلم أدت إلى استخدام آلية الدفاع عن الإزاحة، وخير مثال على ذلك قتل أبي سمير. ولكن على مستوى العلاقات، فإن انشغال أبي عبد بالطعام والعمل منعه من مقاومة تفكك العلاقات من خلال الحوار البناء، ولهذا، أدى عدم المقاومة هذا إلى فتور العلاقات الأسرية وتضاؤلها. يمكن ملاحظة التأثير الأكبر لمقاومة أبي عبد على مستوى القرارات، فبسبب الضغوط والمحفزات الخارجية، ينهض كل جزء من شخصيته كمقاومة استراتيجية ذهنية، وفي النهاية، يؤدي ثبات جزء من ذاته إلى رفضه للسرقة كجزء من دوافع الـ"هو".

### المصادر والمراجع

- بصري، محمد صادق ونسرين فلاح. (٢٠١٤م). «مباني نظري ادبيات مقاومة در آثار غسان كنفاني». نشرية ادبيات پايدارى. السنة ٦. العدد ١٠. صص ٩٠\_٦٥
- ترايبى، ضياء الدين. (٢٠١١م). آشنایی با ادبيات مقاومت جهان. طهران: انتشارات پژوهشگاه علوم و معارف دفاع مقدس.
- الجويسى، سلمى الخضراء. (١٩٩٧م). موسوعة الأدب الفلسطيني المعاصر. انطولوجيا. بيروت: منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- حساويان، ميلاد. (٢٠٢٢م). ترجمه و شرح رمان "القميص المسروق" از عربى به فارسى اثر غسان كنفانى. رسالة ماجستير. رفسنجان: جامعة ولى عصر.
- خضيرى نيسى، هنا. (٢٠٢٣م). جلوه‌هاى ادبيات پايدارى در مجموعه داستان کوتاه الرجال والبنادق اثر غسان كنفانى. رسالة ماجستير. أهواز: جامعة الشهيد چمران.
- راس، آلن أ. (٢٠٠٣م). روان شناسى شخصيت (نظريه‌ها و فرآيندها). ترجمه سياوش جمال‌فر. طهران: انتشارات روان.
- زينى‌وند، تورج و سمييه صولتى. (٢٠١٧م). «نشانه‌شناسى اجتماعى داستان کوتاه "القميص المسروق" كنفانى با تكيه بر سازه‌هاى گفتمانى هليدى». مجله زبان و ادبيات عربى. السنة ٩. العدد ١٦. صص ١٦٠\_١٢٧
- سيد عبد الرحمن، محمد. (١٩٩٨م). نظريات الشخصية. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- شولتز، دوان. (١٩٩٠م الف). روان‌شناسى كمال: الكوهای شخصيت سالم. ترجمه گيتى خوش‌دل. ط ٥. طهران: انتشارات نو.
- شولتز، دوان. (١٩٩٠م ب). نظريه‌هاى شخصيت. ترجمه يوسف كرىمى وزملاؤه. ط ٤. طهران: انتشارات ارسباران.

- شولتز، دوان. (۲۰۰۶م). روان‌شناسی کمال: الگوهای شخصیت سالم. ترجمه گیتی خوش‌دل. ط ۱۳. طهران: انتشارات پیکان.
- صالحی، بیمن وکلثوم باقری. (۲۰۲۲م). «تحلیل شخصیت اصلی رمان ایام معه براساس نظریه خودشکوفایی آبراهام مزلو». مجله ادب عربی. السنة الـ۱۳. العدد الـ۴. صص ۸۷\_۱۰۷
- عموری، نعیم و سید حسن نجاتی. (۲۰۱۹م). «تحلیل مؤلفه‌های ادبیات پایداری در رمان رجال فی الشمس اثر غسان کنفانی». مجله پژوهش در آموزش زبان و ادبیات عرب. السنة الـ۱. العدد ۱. صص ۷۷\_۵۹
- غنجدی، مهدی. (۲۰۱۳م). آسیب‌شناسی روانی براساس DSM-5. طهران: انتشارات ساوالان.
- فرانک، برونو. (۱۹۹۱م). فرهنگ توصیفی روان‌شناسی. ترجمه مهشید یاسایی و فرزانه طاهری. طهران: انتشارات طرح نو.
- فروید، آنا. (۲۰۱۸م). خود و مکانیسم‌های دفاع روانی. ترجمه فرزاد حبیبی اصفهانی. ط ۱. طهران: انتشارات شبگون.
- فیست، جس؛ فیست، جریجوری جی. (۲۰۰۵م). نظریه‌های شخصیت. ترجمه یحیی سید محمدی. طهران: انتشارات روان.
- فیست، جریجوری جی و آخرون. (۲۰۲۲م). نظریه‌های شخصیت. ترجمه یحیی سید محمدی. طهران: انتشارات روان.
- کارفر، جارلز اس؛ شیر، مایکل اف. (۲۰۰۸م). نظریه‌های شخصیت. ترجمه احمد رضوانی. ط ۲. مشهد: شرکت به‌نشر.
- کنفانی، غسان. (۲۰۱۳م). القمیص المسروق. قبرص: منشورات الرمال.
- ماسلو، ابراهام. (۱۹۸۸م). روان‌شناسی شخصیت سالم. ترجمه شیوا رویگریان. طهران: انتشارات هدف.
- ماسلو، ابراهام. (۱۹۹۳م الف). افق‌های والاتر فطرت انسان. ترجمه احمد رضوانی. مشهد: انتشارات آستان قدس رضوی.
- ماسلو، ابراهام. (۱۹۹۳م ب). انگیزش و شخصیت. ترجمه احمد رضوانی. ط ۳. مشهد: انتشارات آستان قدس رضوی.
- هریدی، عادل محمد. (۲۰۱۱م). نظریات الشخصية. ط ۲. القاهرة: دار إيتراک للطباعة والنشر والتوزيع.